

سَلَفَةُ زَهْرٍ بِي رَأْيِ سَلَسِي

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةَ لَمْ تَكَلِّمْ
بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالْمُتَّسِمِ
وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا
مَرَّاجِعُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً
وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً
فَلَأَيًّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ
أَثَافِي سَفْعًا فِي مُعْرَسِ مِرْجَلِ
وَنُؤْيَا كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَمِ
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا
أَلَا أَنْعِمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ
تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظِعَائِنِ
تَحْمَلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثَمِ

جَعَلْنَ الْقَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزَنَهُ
وَكَمَّ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرَمِ
عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةٍ
وَرَادٍ حَوَاشِيَهَا مُشَاكِهَةً الدَّمِ
وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْزُونَ مَتْنَهُ
عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِّمِ
بَكَرْنَ بُكُورًا وَاسْتَحْرَنَ بِسُحْرَةٍ
فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
وَفِيهِنَّ مَلَهَى لِللطيفِ وَمَنْظَرٌ
أَنِيقٌ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ
كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلِ
نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحَطِّمْ
فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ
وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ
ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ
عَلَى كُلِّ قَيْنِيٍّ قَشِيبٍ وَمُفَامِ

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ

رِجَالُ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ

يَمِيناً لِنِعْمِ السَّيِّدَانِ وَوَجِدْتُمَا

عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ

تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا

تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنَّ نُدْرِكَ السَّلْمِ وَاسِعاً

بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنِ

بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمِ

عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدَيْتُمَا

وَمَنْ يَسْتَبِحُ كَنْزاً مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ

تُعْفَى الْكُلُومُ بِالْمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ

يُنْجَمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ

يُنْجَمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ

وَلَمْ يَهْرَيْقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِحْجَمِ

فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ

مَغَانِمٍ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمٍ

أَلَا أَبْلَغِ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً

وَذِيَّانَ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلَّ مُقْسَمٍ

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نُفُوسِكُمْ

لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتُمِ اللَّهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ

لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلُ فَيُنْقَمِ

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ

وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً

وَتَضُرُّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضُرَّمِ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرَكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا

وَتَلْقَحُ كِشَافًا ثُمَّ تُنْتَجُ فَتُنْتَمِ

فَتُنْتَجُ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشْأَمُ كُلُّهُمْ

كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَفْطِمِ

فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا

قَرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدَرِهِمْ

لَعَمْرِي لِنِعْمِ الْحَيِّ جَرَّ عَلَيْهِمْ

بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمٍ

وَكَانَ طَوَى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكِنَةٍ

فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ

وَقَالَ سَأُقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَّقِي

عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمٍ

فَشَدَّ فَلَمْ يُفْزِعْ يُبُوتًا كَثِيرَةً

لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمَّ قَشَعَمٍ

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَدَّفٍ

لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمِ

جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمُ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ

سَرِيعًا وَإِلَّا يُبَدِّ بِالظُّلْمِ يَظْلِمِ

دَعَاؤًا ظَمْنُهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا

غِمَارًا تَفَرَّى بِالسُّلَاحِ وَبِالْدَمِ

فَقَضُّوا مَنَآيَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا

إِلَى كَلِّ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخِّمٍ

لَعَمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ

دَمَ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمُثَلَّمِ

وَلَا شَارَكَتْ فِي الْمَوْتِ فِي دَمِ نَوْفَلٍ

وَلَا وَهَبَ مِنْهَا وَلَا ابْنِ الْمُخَزَّمِ

فَكُلًّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ

صَحِيحَاتِ مَالِ طَالِعَاتِ بِمَخْرَمِ

لِحَيٍّ حَلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرَهُمْ

إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

كِرَامٍ فَلَا ذُو الضُّعْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ

وَلَا الْجَارِمُ الْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ

سَمِمْتُ تَكَالَيْفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ

ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمُ

وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ

وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبُ

تُمِيتُهُ وَمَنْ تُخْطِيءُ يُعَمَّرُ فِيهِرَمِ

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ

يُضَرِّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ

يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ

عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنَنَ عَنْهُ وَيُذَمُّ

وَمَنْ يُوفِّ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يُهْدَقَلْبُهُ

إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمَّجِمِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنْلَنُهُ

وَإِنْ يَرِقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلَمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ

يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّهُ

يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكْبَتُ كُلِّ لَهْذَمِ

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
يُهَدِّمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ
وَمَنْ لَمْ يُكْرِمْ نَفْسَهُ لَمْ يُكْرَمِ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ
وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانَ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادُهُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالِدَمِّ
وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ
وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدَّا فَعُدْتُمْ
وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسْأَلِ يَوْمًا سِيْحَرَمِ